﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: 138]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الخير في الاعتبار بمصير الأمم الماضية

هذه الآية تذييل لما سبق من وجوب المسارعة إلى مغفرةٍ من الله وجنَّة عرضها السَّماوات والأرض، وأنَّ في ذلك الفلاح والنَّجاح، وأنَّ الأمم السَّابقة التي كذَّبت رسلها قد أهلكها الله سبحانه وتعالى، وأنَّ على الإنسان أن يعتبر بذلك، وفي هذا الأمر بيان وهدًى وموعظة للمتَّقين الذين يعتبرون بما حصل لتلك الأمم، وما يجب عليهم أن يتمسَّكوا به.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَيَانٌ﴾، البيان هو: الإيضاح[1]، يقال: بان واستبان وتبيَّن، والبيِّنة: هي الدَّلالة الواضحة، عقليَّة كانت أو حسِّيَّة، فالبيان هو الكشف عن الشَّيء، وهو أعمُّ من النُّطق؛ لأنَّ النُّطق مختصٌّ بالإنسان، ويسمَّى ما بُيِّن به: بياناً[2].

2) ﴿وَهُدًى﴾: أصل معنى الهداية هو: التَّقدُّم للإرشاد، كقَوْلهمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ. وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ؛ لأنه يَقْدُم القومَ نحو وجهتهم ليدلَّهم[3] وذكر الرَّاغب أنَّها: دلالة بلطف، وخُصَّ ما كان دلالة بهَدَيت، وما كان إعطاء بأَهديت، يُقَالُ: أَهْدَيْتُ أُهْدِي إِهْدَاءً.

وما كان منه في جانب البشر فهو بمعنى الإرشادِ والبَيانِ والدَّلالةِ بلُطْفٍ إلى ما يُوصِلُ إلى المَطْلوبِ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(2) الراغب، المفردات: (بان).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هدي).

صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: 52]، وما كان من الله تعالى فهو الدلالة والتوفيق كقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: 6]، و﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: 12]: دلَّنا عليها ووفَّقنا إليها[1].

3) ﴿وَمَوۡعِظَةٞ﴾: الوعظ في اللغة، بمعنى: التخويف[2]، والموعظة من الوعظ، وهو: زجر مقترن بتخويف[3]، وذلك أنَّ المتَّقين هم الذين ينزجرون عمَّا في ذلك من النَّواهي، ويتجنَّبون ما نُهُوا عنه.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

هذا الذي أوضحتُ لكم وعرَّفتكموه من تذكيري للمؤمنين، وتعريفِهم حدودَ الله، وحضِّهم على لزوم طاعتِه والصبرِ على جهادِ أعدائِه وأعدائهم، أو هذا القرآنُ بيانٌ وإرشادٌ إلى طريق الحق، وهذه الموعظةُ في وجوب التمثُّل بالتَّقوى، والنَّظر في عواقب الأمم الماضية التي أُهْلِكت، تذكيرٌ وموعظة للمؤمنين المتَّقين الذين يخشَوْن ربَّهم، وهذه الموعظةُ لهم؛ لأنَّهم المنتفعون بها دون غيرهم[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الفصل في الآية:

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ "تذييل يعمُّ المخاطبين الحاضرين ومن يجيء بعدهم من الأجيال"[5]. وفيه: "حثّهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم"[6].

عـــدل إلى الفصل تذييلا يعمُّ المخاطبين وخالفيهم، ليحثّهم على الاعتبار بسوء عواقب المكذبين

(1) الراغب، المفردات: (هدي)، والجرجاني، التعريفات، ص: 277، والمناوي، التوقيف، ص: 343، والكفوي، الكليات، ص: 952، والسَّفَّاريني، لوامع الأنوار: 1/50، والحَكَمي، معارج القبول: 1/75.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعظ).

(3) الراغب، المفردات: (وعظ).

(4) ابن جرير، جامع البيان: 6/74، ونخبة من العلماء، التفسير الميسَّر، ص: 67.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/97.

(6) الزمخشري، الكشاف: 1/418.

بلاغة التَّعبير باسم الإشارة للقريب:

في التعبير باسم الإشـارة بيانٌ لقرب المتحدَّث عنه، ووضوحه

والتَّعبير باسم الإشارة القريب ﴿هَٰذَا﴾؛ لبيان قرب المتحدَّث عنه، ووضوحه. وهو" يعني القرآن وقيل هو اسم إشارة إلى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده"[1]. فهو إشارة " إما إلى ما تقدّم بتأويل المذكور، وإما إلى حاضر في الذهن عند تلاوة الآية وهو القرآن"[2]..

توجيه التَّعريف في ﴿لِّلنَّاسِ﴾:

عهديّة التعريف تـخـصـيـص البيان بمكذّبي عصر الـنُّـبُـوَّة، وجنسيّته بيان لجميع النَّاس

التَّعريف في ﴿لِّلنَّاسِ﴾ للعهد أو للجنس، فإن كان للعهد؛ فيكون البيان لمكذِّبي عصر النُّبُوَّة الأخيرة الخاتمة وحدهم دون المتقدِّمين زمانًا عليهم، أمَّا الهدى والموعظة؛ فهي للمؤمنين، وإن كان للجنس، فيكون البيان لجميع النَّاس: مؤمنهم وكافرهم، أمَّا الهدى والموعظة؛ فهي للمتَّقين وحدهم[3].

بلاغة تقديم البيان للنَّاس:

أوَّل ما يترتَّب على مشاهدة آثـــارِ هـــلاكِ الأسلافِ ظهورُ حالِ الأخلافِ

قُدّم (البيانُ للناس) بوصفه بيانًا للمكذِّبين - في توجيه عهديّة اللام في الناس - مع أنَّه غيرُ مَسوق له على كونه هدًى وموعظةً للمتَّقين مع أنَّه المقصودُ بالسِّياق؛ لأنَّ أوَّل ما يترتَّب على مشاهدة آثارِ هلاكِ أسلافِهم ظهورُ حالِ أخلافِهم[4].

نكتة تخصيص البيان للنَّاس:

تخصيص البيان للـنَّـاس؛ لأنَّ المـرادَ بـه مجرَّدُ البيانِ العاري عـــن الـــهـــدى والعظةِ

تخصيصُ البيانِ للنَّاس مع شموله للمتَّقين - أيضًا - لما أنَّ المرادَ به مجرَّدُ البيانِ العاري عن الهدى والعظةِ، والاقتصار عليهما في جانب المتَّقين مع ترتُّبهما على البيان؛ لما أنَّهما المقصِدُ الأصليُّ[5].

(1) الخازن، لباب التأويل: 1/424.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/97.
(3) القنوجي، فتح البيان: 2/338.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/88.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/88.

أنزل القرآنُ بيانًا للعامّة والخاصّة، ولهذا قال: ﴿لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنه ما من ذي فكرة استمع إليه إلا حصل منه بيان ما[1].

إثـــارُ لفـظ (لـلـنـاس)؛ لأنـــه تـعـالى جـعـل الـقـرآن بـيـانًـا لـلـعـامّة والخاصّة

سرُّ تخصيص المتَّقين بالهدى، والموعظة:

الموعظة من الوعظ، وهو: زجرٌ مقترنٌ بتخويف[2]. والمتَّقون هم الذين ينزجرون عمَّا في ذلك من النَّواهي، ويتجنَّبون ما نهوا عنه، فينتفعون بها؛ لذلك خصَّهم تعالى بالموعظة؛ لأنَّهم أهلٌ لذلك، وفي ذلك تشريف لهم. وكذا الأمر مع الهدى، وهما في حق غير المتقين كالمعدومة.

خصَّ الله تعالى المتَّقين بالهدى، والمـوعـظـة تشريفًا؛ ولأنَّهم المنتفعون بهما

إنّ قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلامٌ عامٌّ ثم قوله: قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مخصوص بالمتقين؛ لأن الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة إلى البغية، ولا شك أن هذا المعنى لا يحصل إلا في حق المتقين[3]. وجعله هدى مبالغة؛ لأنه أثره ومنه جاء[4].

البـيـانُ قـول عـامٌّ، والـهـدى والمـوعـظـة مـخـصـوصـتـان بالمتقين

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البيان، والهدى، والموعظة:

البيان جنس تحته نوعان: الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى، والكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة.

أي هما وجهان: الأول: أن البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة، فالفرق أنَّ البيان عام في أي معنى كان.

وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد؛ ليُسْلك دون طريق الغَيِّ.

(1) الراغب، تفسير الراغب: 3/872.
(2) الراغب، المفردات، وعظ.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/371.
(4) الخفاجي، حاشية على البيضاوي: 2/99.

وأما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الزَّجر عما لا ينبغي في طريق الدين[1]. فالهدى يقال باعتبار معرفة الشريعة وسلوك طرقها إلى ثواب اللّه تعالى، والوعظ يقال باعتبار معرفة الثواب والعقاب[2].

البيانُ دلالةٌ عامّة، والهدى دلالةٌ مفضية إلى الاهتداء

الوجه الثاني: أن البيان هو الدلالة، وأما الهدى فهو الدلالة بشرط كونها مفضية إلى الاهتداء[3].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/370.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 3/872.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/370.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»